العرب
الإثنين 2021/06/28
السنة 44 العدد 12103

مسرحي تونسي يركب آلة الزمن بحثا عن التجديد

أنور الشعافي: «كابوس آينشتاين» تسائل التراث بفكر حديث

سخرية لاذعة من العالم الافتراضي

من العناوين البارزة في برمجة مهرجان قرطاج الدولي في دورته السادسة والخمسين المزمع انعقادها في الفترة الممتدة بين الثامن من يوليو القادم وحتى السابع عشر من أغسطس المقبل، يحضر المخرج التونسي أنور الشعافي بمسرحيته الجديدة "كابوس آينشتاين". "العرب" التقت صاحب "هوامش على شريط الذاكرة" و"المسودة" و"رقصة السرو" و"بعد حين" وغيرها من التجارب المسرحية الجادة، فكان هذا الحوار.

صابر بن عامر
صحافي تونسي

تونس – قلة هم المسرحيون الذين يحوّلون أعمالا أدبية تونسية إلى عرض مسرحي متكامل، ومن هذه القلة يحضر المخرج المسرحي التونسي أنور الشعافي الذي انتهى أخيرا من تقديم عرضه قبل الأول لمسرحية "كابوس آينشتاين" المقتبسة عن رواية للكاتب التونسي كمال العيادي الشهير بـ"الكينغ" بالعنوان ذاته.

"العرب" حاورت الشعافي الذي يستعدّ لتقديم عرضه الجديد على خشبة مسرح قرطاج الأثري في الثاني عشر من يوليو القادم، ضمن فعاليات الدورة السادسة والخمسين من مهرجان قرطاج الدولي (الصيفي)، منطلقة من سؤاله حول ردّة فعله إزاء هذه العودة الاستثنائية لأبي الفنون في أعرق المهرجانات العربية والأفريقية بخمس مسرحيات تونسية بعد سنوات من التهميش والإهمال؟

أنور الشعافي

صعوبة تحويل «كابوس آينشتاين» من الرواية إلى المسرح تكمن في خيال مؤلفها المُجنّح وبهلوانية لغته

فقال "هذه الدورة أرجعت المسرح إلى مكانه الطبيعي، فقد شيّد الرومان مسرح قرطاج لعرض المسرحيات، ومهرجان قرطاج تم افتتاحه في سنة تأسيسه (1964) بمسرحية 'مدرسة النساء' لفرقة مدينة تونس، وظل يُفتتح بالمسرح لدورات متعاقبة قبل أن يدنّس خشبته بعض مديريه الذين برمجوا أصحاب المسرح التجاري، فأساؤوا إلى هذا الفن العريق".

ويضيف صاحب مسرحيتيْ "من ليلى إلى جولييت" و"ترى ما رأيت"، "عودة المسرح إلى موطن نشأته يُحسب لهيئة المهرجان في دورته الجديدة، ووجب تثمين ذلك والدفاع عنه، وأستغرب مواقف بعض المسرحيين المشكّكة في هذا التوجّه".

وهو يؤكّد أن "المسرح الجاد له مكانته ومكانه في قرطاج وبتراكم الدورات سيسترجع الفن الرابع جمهوره بمساندة إعلامية ترتقي بالذوق وتقطع مع ثقافة الاستسهال، وفي المقابل وجب على المسرحيين تجاوز كل أشكال المسرح المحنط والقوالب الجاهزة التي لا تُخاطب عين مُشاهد الألفية الثالثة".

إنسانية معولمة

في دورة قرطاج لهذا العام يحضر الفن الرابع بكثافة، ما يمثّل خُمس برمجة المهرجان من جملة 24 عرضا توزّعت بين المسرح والموسيقى، وتأتي مسرحية الشعافي "كابوس آينشتاين" من جملة خمسة عروض مسرحية تونسية أخرى هي "ياقوتة" لليلى طوبال و"ربع وقت" لسيرين قنون و"آخر مرة" لوفاء الطبوبي و"على هواك" لتوفيق الجبالي، وهو ما يمثّل سابقة في تاريخ المهرجان.

ومع ذلك يرى بعض المهنيين أن العروض المسرحية المقترحة في مهرجان قرطاج الصيفي لهذا العام لا تحقّق الفرجة المرجوّة على اعتبار أنها عروض جعلت أساسا لفضاءات أصغر وأكثر حميمية.

عن هذا الرأي، يقول الشعافي "من الصدف العجيبة أن كل هؤلاء المشكّكين هم أصحاب إنتاجات لم تقع برمجتها، وبعضها متواضع من حيث القيمة الفنية، وبعضها الآخر جدير بالبرمجة، ومسألة الحميمية لها علاقة بتصوّر إخراجي يأخذ في اعتباره فضاء المسرح المفتوح في ما يتعلق بالإضاءة وتحرّكات الممثلين وتقنيات أدائهم من صوت وحضور جسدي وطاقة وشحنات، ولو كان هؤلاء المعترضون ضمن برمجة قرطاج لهذا العام لصمتوا عن هذا التعليل المفخّخ، إذ كان عليهم أن يثمّنوا هذا التوجه عوض انتقاده، والدورات دول واليوم عرض وغدا آخر والخشبة فسيحة تتّسع للجميع".

وبالعودة إلى عرضه المُرتقب على خشبة مسرح قرطاج الأثري في يوليو القادم سألت "العرب" الشعافي هل من السهل تحويل رواية بين دفتي كتاب إلى الخشبة؟ خاصة وأن لكلا الفنين أدواته المختلفة؟

فقال "بالنسبة إلى 'كابوس آينشتاين' فهي نص مسرحي بالأساس وصعوبته تكمن في مرجعيته الكلاسيكية، بطل محوري بُنيت عليه الأحداث، له مساندون ومعارضون في مساره الدرامي وتقطيعها التقني فصول ومشاهد، كما تكمن الصعوبة في خيال الكاتب المُجنّح المُربك وبهلوانية لغته".

ويضيف "هذا الخيال المجنّح حمّلته معالجتنا السينوغرافية جمالية أخرى مُستحدَثة يمكن تصنيفها فيما يُسمّى بالدراما الجديدة، والتي نجد أدواتها في أعمال جيل جديد من المسرحيين الألمان مثل أنجيا هيلينغ وفولك ريختر التي لا تقطع تماما مع الدراما الأرسطية، كما فعل هانس ثييس ليمان في نظريته حول المسرح ما بعد الدرامي، ذلك أن المسرح مسارح والجمالية في صيغة الجمع، وهو فن طازج متجدّد، ونص – النص يختلف عن نص – الخشبة، ويوجد عندنا مخرجون لا يؤمنون بالتعدّد الجمالي وإقصائيون في طرحهم الفني، وهم في حقيقة أمرهم أصحاب جماليات أكل عليها المسرح وشرب".

تطرح مسرحية "كابوس آينشتاين" قضية الزمن والتحوّلات التي يعيشها الإنسان المعولم في انتقال رشيق بين كاليفورنيا وبين مضارب الخيام العربية، وعبر شخصيات من الزمن الحديث كآينشتاين ومارلين مونرو وأخرى من العصر الجاهلي كعلقمة وحُباب، وهو جمع طريف بين حضارتين وتاريخين متباعدين يُبرزان دون شك أنهم وأننا أيضا، جميعنا ضحايا التقدّم العلمي الذي أصبحت فيه العلوم لهوا باطلا، وهو التناقض الذي بنى عليه الكاتب كمال العيادي نصه، وهو أيضا إحدى تقنيات كوميديا الموقف التي تنشأ من هذا التباين الصارخ بين زمنين متباعدين.

تناقض اشتغل عليه الشعافي في مسرحيته واضعا شخصيات مُعاصرة في زمن قديم، مفسّرا "هو زيارة ومساءلة لهذا القديم بمعارف جديدة وفكر حديث، ممّا يخلق موقفا نقديا من كليهما وإبرازا للجانب السلبي من التطوّر العلمي إذا لم نحسن استغلاله أو نسرف في استعماله".

النقد بسخرية

عن القصدية من وراء السفر عبر الزمن كما أتى في المسرحية بشكل ارتدادي عوض الانتقال إلى عصور لاحقة يوضّح المخرج المسرحي التونسي "أولا، لأن الدافع الدرامي الذي تخيّله الكاتب بالنسبة إلى شخصية آينشتاين هو الالتقاء بمارلين مونرو التي يعشقها، وهذا الارتداد إلى الوراء يسمح له بلقائها".

ويسترسل "أما الدافع الثاني، فهو نوع من المساءلة لذلك التاريخ القديم أراده المؤلف ساخرا، وأتذكّر هنا مقولة لمخرج بولوني اسمه كاسيمير غروشماكسكي أجرى لنا ورشة عمل حول بناء الكوميديا في أواخر ثمانينات القرن الماضي، حيث قال: ننقد بجدية حين ننقد بسخرية، وهنا لا بد من التنويه بتمكّن كاتب النص وقدرته على تمثّل لغة الوضعيات والفضاء اللغوي للشخصيات بين التي عاشت في عهد الجاهلية مثل حُباب وعلقمة، وتلك التي عاشت في عصرنا مثل آينشتاين وغودل".

واعتمدت مسرحية "كابوس آينشتاين" في فصول منها أدوات غير مسرحية كتقنيات الرياضات القصوى، وهنا تسأل "العرب" الشعافي هل يعني ذلك أن للمسرح أدواتا أخرى لم يتمّ استغلالها بعد بالشكل الأمثل؟

فيقول "أعتقد، ولست وحدي في ذلك، أن المسرح بشكله التقليدي أصبح مهدّدا في وجوده، فبات من الضروري أن يطوّر من نفسه دون أن يفقد هويته طبعا، كونه فنا طازجا يحيا بآنيته، أساسه الممثل مهما تقدّمت تقنياته، لذلك شهدنا منذ بدايات القرن الماضي انفتاح هذا الفن على بقية الفنون، ثم استغلال التكنولوجيات ووسائل الاتصال الحديثة".

والشعافي أحد أهم المهتمين بهذا التوجّه، وهو الذي سبق له الاشتغال في مسرحيته "ترى ما رأيت" على الممثل عن بعد، واعتمد في "أو لا تكون" على توظيف السرك الفني في أداء الممثل وحركته، أما في "كابوس آينشتاين" فقد استند هذه المرة على بعض أدوات الرياضات القصوى مثل "الهوفيربوارد" و"العجلات الدوّارة"، وهو يهدف من خلال ذلك البحث عن حساسية متلهفة وإيقاع آخر لحركة الممثل على الخشبة، وأيضا مغازلة اهتمامات الجيل الجديد من المُشاهدين بعد أن أصبح المسرح في قطيعة مشهدية معه.

وهو في ذلك يقول "المسرح هو خيال رحب لا يستكين للمسلّمات الجمالية وتاريخ المسرح هو تاريخ هدم وتقويض، ولا بد من نزع صفة القداسة عن أرسطو مصّاص دماء المسرح الغربي، كما عنونت فلورنسا دوبونت كتابها، ذلك أن الانحناء للقواعد القديمة يجعل المشهد المسرحي مستنسخا من بعضه بعضا".

ويقول جازما "المسرح يشبه طائر الفينيق يحيا من رماده، وهو فن له قدرة عجيبة على التحوّل والتجدّد والانفتاح".

هكذا يبدو الشعافي ومن خلال مسرحياته المتنوّعة التي راكمها منذ أكثر من ثلاثة عقود مختلفا ومنفردا في الطرح والبناء السينوغرافي، وكأنه يسعى إلى إرساء نوع جديد من المسرح المُربك للمتفرج والنقاد على السواء، والمقوّض لآليات المسرح الكلاسيكي التقليدي. وهنا تسأله "العرب" هل بإمكاننا الحديث الآن عن تجربة منفردة للشعافي أساسها مسرح الخيال العلمي؟

فيجيب بخجل المتمكّن من أدواته والواثق من مساره "أنا أعتبر نفسي مبتدئا في كل تجربة أخوضها، فآفة المسرح في تونس هي الادّعاء والتهافت، وبعض هؤلاء لا يتجاوز عدد أعمالهم أصابع اليد الواحدة، ومع ذلك يُكابرون، ولا أراني أشبههم".

العراق يطلق نسخته الأولى من مهرجان الأفلام السينمائية القصيرة

بغداد – بالتزامن مع ذكرى يوم السينما العراقية، تنطلق اليوم الاثنين فعاليات الدورة الأولى لمهرجان الرافدين للأفلام الروائية السينمائية القصيرة بمشاركة 23 دولة عربية وأجنبية، ويستمر ليومين.

وقال مصطفى البياتي رئيس اللجنة المنظمة للمهرجان إن مركز عشتار للإعلام (منظمة غير حكومية) بالتعاون مع جامعة كلكامش ينظم يومي 28 و29 يونيو الجاري الدورة الأولى لمهرجان الرافدين للأفلام الروائية القصيرة.

ويشهد المهرجان مشاركة 50 فيلما من 23 دولة عربية وأجنبية أبرزها إسبانيا وفرنسا وألمانيا والولايات المتحدة وإيران وباراغوي والأرجنتين والبرازيل والإمارات وتونس والمغرب والعراق وغيرها.

وأوضح البياتي أن لجنة فنية عالية المستوى تضم فنانين وأكاديميين ومصوّرين ومعنيين بشؤون السينما تولّت عملية اختيار الأفلام المشاركة، حيث وصل إلى اللجنة العليا للمهرجان 416 فيلما من 42 دولة جرت عليها عمليات الفحص واختيار الأفلام التي تنسجم والشروط التي وضعتها اللجنة العليا للمهرجان التي تأخذ بعين الاعتبار جودة الفيلم والقصة السيناريو وموضوع الفيلم.

ويتم في حفل افتتاح المهرجان الذي يقام، الليلة، على قاعة جامعة كلكامش ببغداد عرض فيلم يتناول مسيرة المخرج السينمائي العراقي المخضرم محمد شكري جميل في عالم السينما العراقية والعالمية، مع عرض مشاهد من أفلامه الكثيرة التي سجّلت سفرا خالدا في تاريخ السينما العراقية.

ومحمد شكري جميل، الملقّب بعرّاب السينما العراقية، هو مخرج سينمائي من العراق مواليد بغداد 1937 درس السينما في المعهد العالي للسينما في المملكة المتحدة، بدأ تجربته سنة 1953 بإنتاج أفلام وثائقية لوحدة الإنتاج السينمائي في شركة نفط العراق مصورا ومونتيرا، وعمل كمساعد مخرج في بعض الأفلام العالمية مثل "اصطياد الفأر" لبول روثا، و"الرولز رويز الصفراء" لأنتوني أسكويث، كما عمل في فيلم الرعب "التعويذة" والذي صوّر في مدينة الموصل شمال العراق.

عاد إلى العراق وشارك في الإخراج مع المخرج جرجيس يوسف حمد في إخراج فيلم "أبوهيلة" عام 1963، وعمل في المونتاج في الفيلم التاريخي "نبوخذ نصر" الذي أخرجه كامل العزاوي، والذي يعد أول فيلم عراقي ملوّن، ثم أخرج فيلم "شايف خير" عام 1968.

وأخرج فيلم "الظامئون" عام 1973 والمأخوذ عن رواية الكاتب العراقي عبدالرزاق المطلبي، والذي يروي قصة الظمأ والتخلف التي كانت تسيطر على العراق آنذاك، ثم أخرج فيلم "الأسوار" عام 1979، والذي يتناول المرحلة النضالية للشعب العراقي ووقوفه إلى جانب الشعب المصري في مواجهة العدوان الثلاثي بعد تأميم قناة السويس واندلاع انتفاضة 1956 بالعراق.

وفي العام 1982 أخرج فيلم "المسألة الكبرى" والذي شارك فيه إلى جانب الفنانين العراقيين ممثلين أجانب من ضمنهم الممثل العالمي أوليفر ريد. والفيلم يعتبر من أضخم إنتاجات السينما العراقية، وهو يتحدّث عن نضال الشعب العراقي ضد المحتل الإنجليزي والمتوّج بثورة العشرين.

وفي العام 1982 أخرج جميل فيلم "المهمة مستمرة" وهو أول فيلم روائي عن الحرب مع إيران يمزج بين التسجيلي والروائي، متناولا حادثة حقيقية وقعت لطيار عراقي تصاب طائرته فوق الأراضي الإيرانية أثناء تنفيذه لأحد مهامه، ممّا يضطره للهبوط في الأرض الخطأ، ومن ثم يبدأ رحلته في البحث عن طريق الخلاص لأجل العودة إلى أرض الوطن. وأخرج بعد ذلك أفلام "الفارس والجبل" و"عرس عراقي" و"اللعبة" و"الملك غازي".

وقدّم جميل خلال 60 عاما 13 فيلما روائيا، وفيلمين قصيرين، و45 فيلما وثائقيا، وأربعة مسلسلات تلفزيونية، كما أنتج فيلمين طويلين لغيره، وأصدر في العام 2013 كتابا سينمائيا حمل عنوان "لغة السينما هي لغة السينما".

ويؤكّد البياتي أن مهرجان الرافدين السينمائي الأول للأفلام القصيرة هو "محطة لاستقطاب وعرض مجموعة من الأفلام المتنوّعة للجمهور الشغوف بالسينما والمحب لها ولمدّ جسور التواصل بين الثقافات من خلال السينما".

ويضيف أن المهرجان "يعمل على تواصل منتجي ومخرجي الأفلام من العراق والمنطقة العربية مع نظرائهم الدوليين من أجل تعزيز روح التعاون والتبادل الثقافي والفني".

المهرجان يشهد في دورته التأسيسية مشاركة خمسين فيلما تتنافس على إحدى عشرة جائزة

وعن المشاكل التي واجهها المهرجان، يؤكّد البياتي أنّ المشكلة الأساسية تكمن في التمويل، موضّحا "الحصول على دعم للأعمال الفنية، لاسيما السينمائية منها، صعب للغاية، لكن المهرجان استطاع رغم كلّ ذلك النهوض بنفسه، وبجهود ذاتية، من خلال شراكاته الفنية مع مركز عشتار والمؤسّسات الأكاديمية، منها جامعة كلكامش، الراعي الرسمي للمهرجان".

ويقدّم المهرجان إلى جانب العروض السينمائية جلسات للحوار والمناقشة في الشأن السينمائي العربي والعالمي بمشاركة مهتمين بشؤون السينما وأكاديميين وباحثين من العراق والبلدان المشاركة.

وسيتم في ختام أيام المهرجان توزيع 11 جائزة بين الأفلام الفائزة في مجالات أفضل فيلم وإخراج وسيناريو وتمثيل وتصوير ومونتاج وتحكيم إضافة إلى جائزة الجمهور.

ويسعى القائمون على المهرجان في دورته التأسيسية إلى إقامة شراكات حقيقية مع مهرجانات سينمائية عالمية والخوض في مضمار المواكبة الفنية لما تقدّمه هذه المهرجانات من خبرات فنية وفتح آفاق تعاون تمنح منتجي السينما العراقيين فرصا أكبر من خلال تقديم المنح الممولة من أجل الارتقاء بالفنون السينمائية، وبما يشكّل حافزا كبيرا لدورات قادمة وبمستويات أعلى.

المهرجان يكرّم محمد شكري جميل «عرّاب السينما العراقية» في دورته الأولى